



أضواء على شخصية الطبيب ابن رضوان المصري

محمد احمد عبدا لكريم

نشأته وحياته :-

هو الطبيب الفيلسوف ابو الحسن علي بن رضوان بن علي ابن جعفر المصري، المولود في الجيزة - إحدى ضواحي القاهرة - عاصمة الدولة الفاطمية آنذاك، وكان مولده في أسرة فقيرة، إذ كان والده يعمل خبازاً.

أكب ابن رضوان منذ الصغر على الدراسة والتحصيل العلمي، وقد عانى في سبيل العيش والتحصيل العلمي مصاعب جمة، ومشاق كثيرة، مما اضطره أن يرحل الى القاهرة، وهو في العاشرة من عمره؛ ليمارس التنجيم مكتسباً، حتى يتمكن من العيش ومواصلة تحصيله العلمي.

لبطليموس^(١) وغيرهما.

اتصل ابن رضوان بالكثير من علماء عصره أمثال الطبيب ابن بطلان^(٢)، وكثيراً ما دارت بينهما المناظرات والمساجلات، ولاين رضوان أكثر من مقالة ورسالة في الرد على ابن بطلان.

اطلع ابن رضوان على علوم المسلمين كالطب، والفلسفة، والحكمة، فقد قرأ كتاب الحاروي للرازي^(٣) وكتب الفارابي^(٤) الفلسفية وغيرها، كذلك اطلع ابن رضوان على علوم اليونان الطبية، والفلسفية والرياضية؛ فقد قرأ كتاب جالينوس^(٥) في صناعة الطب، وكتاب المجسطي



خبر ابن رضوان إلى الحاكم بأمر الله الفاطمي^(١) فقرّبه الحاكم إليه وأكرمه: إذ جعله طبيبه الخاص ثم عينه رئيساً لأطباء مصر.

وإضافة إلى تكسب ابن رضوان بالتجيم، والطب فإنه كان يتكسب بالتعليم: إذ بنى له داراً قرب قصر الشمع في القاهرة

لم يتعلم ابن رضوان الطب على أيدي العلماء، وإنما تعلمه لوحده، ومارسه متكسباً، وبرع في معالجة المرضى، ونال شهرة واسعة، وذاع صيته في كافة أنحاء مصر، حتى أصبح علماً بارزاً في هذا المجال فقصده المرضى من كل صوب ليتطببوا على يديه، فتحسنت أحواله واتسعت أرزاقه، ووصل



يتيمة كانت إحدى ضحايا البلاء العظيم الذي حل بمصر بين عامي أربعمئة وخمسة وأربعين، وأربعمئة وسبعة وأربعين، فقدت والديها، فعتف عليها ابن رضوان، وأخذها ورباها، وأحسن معاملتها، وأخذت الطفلة تصول وتجول في بيته، وذات يوم وقع نظرها على صرة فيها حوالي عشرين ألف دينار لابن رضوان، فأخذت الطفلة تتحين الفرصة لتتمكن من سرقة الصرة، وفي يوم من الأيام خلا لها البيت، فأخذت الصرة ولاذت بالفرار، فأخذ ابن رضوان يبحث عنها، لكنه لم يعثر عليها، فأصيب نتيجة لذلك باختلاط في عقله^(١٠).

أما وفاة ابن رضوان فهي مدار اختلاف المؤرخين، فهناك من يرى أنه توفي سنة أربعمئة وثلاث وخمسين للهجرة، وهناك من يرى أنه توفي سنة أربعمئة وستين للهجرة.

● شروط الطبيب عند ابن رضوان :

كان ابن رضوان يؤمن إيماناً عميقاً بأن مهنة الطب مهنة عظيمة، لا يمارسها إلا من يتقنها إتقاناً حسناً، ونظراً للإرتباط المتين بين الطب والأخلاق، فإننا نجد ابن رضوان يهتم بالجانب الأدبي والمسلكي للطبيب، ولذلك فإنه يشترط في الطبيب أن تتوفر فيه سبع خصال هي^(١١) :

- ١ - أن يكون تام الخلق، سليماً، عاقلاً، وذكياً.
- ٢ - أن يكون حسن المنظر والملبس، ونظيف الجسد.
- ٣ - أن يكون كتموا لأسرار المرضى لا يبوح بشيء من أمراضهم.
- ٤ - أن تكون رغبته في معالجة المرضى أكثر من رغبته في كسب المال، ورغبته في علاج علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج

عرفت باسمه، وكان العلماء يترددون عليها ليتعلموا الطب على يدي شيخهم ابن رضوان، ومن هؤلاء الأمير المبشر ابن فاتك^(٧).

وقد علل ابن رضوان تكسبه بالتنجيم، والطب، والتعليم بقوله : (.. ولم يكن لي مال أنفق منه، فلذلك عرض لي في التعليم صعوبة ومشقة، فكنت مرة اتكسب بصناعة القضايا بالنجوم، ومرة بصناعة الطب، ومرة بالتعليم..)^(٨).

كان ابن رضوان دمث الخلق، كريه المنظر، أسود اللون، كريماً، سمحاً، متواضعاً، تقياً، وزاهداً في الدنيا، ويؤكد ذلك قوله : (وأجتهد في حال تصرفي في التواضع والمداواة وغيث الملهوف، وكشف كربة المكروب، وإسعاف المحتاج، وأجعل قصدي من كل ذلك الالتذاذ بالأفعال الجميلة، وألزم الصمت، وكف اللسان عن معائب الناس، وأجتهد أن لا أتكلم إلا بما ينبغي، وأتوقى الأيمان ومطالب الآراء، فأحذر العجب وحب الغلبة وأطرح الهم والاعتماد، وإن دهمني أمر فادح أسلمت فيه إلى الله تعالى، وقابلته بما يوجب التعقل من غير جبن ولا تهور، وأنفقد في وقت خلوتي ما سلف في يومي من أفعالي وانفعالاتي، فما كان خيراً أو جميلاً أو نافعا سررت به، وما كان شراً أو قبيحاً أو ضاراً اغتممت به، ووافقت نفسي بأن لا أعود إلى مثله)^(٩).

هذا عن السيرة الذاتية لابن رضوان، أما عن سيرته الإجتماعية، فيروى أنه تزوج في الثلاثين من عمره، وأنجبت له زوجته ولداً وابنتين لكنهم ماتوا صغاراً.

ويروى أن ابن رضوان أصيب في أواخر حياته باختلاط في عقله، وسبب ذلك طفلة

وقد حذر ابن رضوان الأطباء من إعطاء المرضى أي دواء قبل معرفة علّة المريض، وتحديد مكان المرض وأسبابه، لئلا يترك هذا الدواء آثاراً سلبية على المريض، وفي ذلك يقول: "إذا دعيت إلى مريض فأعطه ما لا يضره إلى أن تعرف علته فتعالجها عند ذلك، ومعنى معرفة المرض، هو أن تعرف من أي خلط حدث أولاً ثم تعرف بعد ذلك في أي عضو هو، وعند ذلك تعالجه^(١٣)".

● النتاج الطبي لابن رضوان :

ترك ابن رضوان وراءه ما يقرب من سبعين مؤلفاً طبياً بين كتاب، ومقالة، ورسالة، تناول فيها موضوعات طبية متعددة، ولكن معظم هذه الكتب فقدت، ولم يبق منها إلا القليل القليل، الذي يدل على المكانة الطبية لابن رضوان، ومن أبرز تلك المؤلفات^(١٤):

- ١ - "الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب"، وهو مخطوط، توجد منه نسخة في دار الكتب المصرية ويقع في خمسة أبواب.
- ٢ - كتاب "الأصول في الطب" ويقع في أربع مقالات.
- ٣ - "كتاب في حل شكوك الرازي على كتاب جالينوس"، ويقع في سبع مقالات.
- ٤ - "شرح كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس".
- ٥ - "كتاب في الأدوية المفردة على حروف المعجم"، ويقع في اثنتي عشر مقالة.
- ٦ - "كتاب تتبّع مسائل حنين"، ويقع في مقالتين.
- ٧ - مقالة في دفع المضار عن الأبدان بمصر.

الأغنياء.

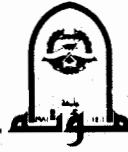
- ٥ - أن يكون حريصاً على التعليم وخدمة الناس.
- ٦ - أن يكون طاهر القلب، عفيفاً، لا يخطر بباله شيء من أمور النساء والأموال التي شاهدها في بيوت المرضى.
- ٧ - أن يكون مؤتمناً على أرواح المرضى وأموالهم؛ لا يصف دواء قتالاً لا يعلمه، أو مسقطاً للأجنة، وأن يعالج أعداءه كما يعالج أصدقاءه.

ويرى ابن رضوان أن الطبيب الماهر الناجح هو الذي يتحلّى بهذه الخصال السبع، بعد إتقانه لمهنة الطب وفي ذلك يقول: (المعلم لصناعة الطب هو الذي اجتمعت فيه الخصال بعد استكمال صناعة الطب، والمتعلم هو الذي فراسته تدل على أنه ذو طبع خير، ونفس زكية، وأن يكون حريصاً، ذكياً، ذكوراً لما قد تعلمه^(١٥)).

● أسلوب ابن رضوان في معالجة المرضى :

اتبع ابن رضوان أسلوباً فريداً في معالجة مرضاه، يتمثل في إجراء عدة فحوصات طبية شاملة للمريض لمعرفة علته، وتراعى في هذه الفحوصات الحالة الصحية للمريض، وكذلك النفسية، والعقلية، ومن أبرز تلك الفحوصات :

- ١ - فحص الأعضاء الظاهرة والباطنة.
- ٢ - فحص النبض.
- ٣ - فحص البول والبراز.
- ٤ - فحص بطن المريض وهو مستلق على ظهره.
- ٥ - فحص حركات المريض وتصرفاته.
- ٦ - فحص القدرة العقلية للمريض.



والعقبات التي اعترضت طريقه، وهو في رحلة العلم إلا أنه استطاع أن يتغلب عليها ويواصل رحلة العلم، فلم يرحل ابن رضوان عن الدنيا إلا بعد أن ساهم مساهمة فعالة في مسيرة الحضارة العربية الإسلامية، فقد قدّم لهذه الأمة خدمات طبية جليلة، وترك وراءه نتاجاً طبياً وعلمياً ضخماً، لكن من المؤسف أن معظم هذا النتاج ضاع، فرحم الله شيخنا ابن رضوان وأسكنه فسيح جناته.

الهوامش

- ١ - هو الطبيب ابو بكر محمد بن زكريا الرازي، عاش بين عامي ٢٥١ - ٣١٣ هـ، الزركلي: الاعلام، ج ٦، ص ١٣٠.
- ٢ - هو الفيلسوف محمد بن محمد بن طرخان ابن اورلغ، كنيته ابو نصر، من اكبر فلاسفة المسلمين، تركي الأصل، ولد في فاراب، عاش بين عامي ٢٦٠ - ٣٣٩ هـ، الزركلي: الاعلام، ج ٧، ص ٢٠.
- ٣ - هو الطبيب اليوناني المشهور، عاش بين عامي ١٣١ - ٢٠١ م، له اكتشافات في التشريح، توتل، المنجد في الاعلام، ص ٢٠٦.
- ٤ - هو الفلكي والجغرافي اليوناني، عاش بين عامي ٩٠ - ١٦٨ م نشأ في الاسكندرية، توتل، المصدر السابق، ص ١٣٥.
- ٥ - هو الطبيب ابو الحسن المختار بن الحسن ابن عبدون بن سعدون بن بطلان، من اهل بغداد، سافر إلى مصر سنة ٤٣٩ هـ، توفي سنة ٤٥٨ هـ، الزركلي، الاعلام، ج ٧، ص ١٩١.
- ٦ - هو الخليفة الفاطمي منصور بن نزار "العزير بالله" بن معد بن اسماعيل العبيدي، ولد في القاهرة سنة ٣٧٥ هـ، وتوفي سنة ٤١١ هـ، الزركلي، الاعلام، ج ٧، ص ٣٠٥.
- ٧ - هو الأمير ابو الوفاء الميبرين فاتك الأمدي، من اعيان مصر، عاش في القرن الخامس الهجري توفي نحو سنة ٥٠٠ هـ، الزركلي،

- ٨ - مقالة في شرف الطب.
- ٩ - مقالة في حفظ الصحة.
- ١٠ - رسالة إلى أطباء مصر في خبر ابن بطلان.
- ١١ - رسالة في أزمة الأمراض.
- ١٢ - رسالة في علاج الجذام.
- ١٣ - رسالة في دفع مضار الحلوى للمحرور.

● النتاج غير الطبي لابن رضوان :

إضافة إلى النتاج الطبي الضخم الذي تركه ابن رضوان وراءه، فإن له مؤلفات كثيرة في العلوم الأخرى، كالفلسفة، والفلك، والطبيعيات، والإلهيات وغيرها، ومن أبرز تلك المؤلفات^(١٥) :

- ١ - كتاب في مسائل جرت بينه - ابن رضوان - وبين ابن الهيثم في المجرة والمكان.
- ٢ - كتاب في الرد على الرازي في العلم الإلهي وإثبات الرسل.
- ٣ - كتاب المستعمل من المنطق في العلوم والصنائع.
- ٤ - مقالة في لكتساب الحلال من المال.
- ٥ - مقالة في فضيلة الفلسفة.
- ٦ - أجوبة لمسائل منطقية من كتاب القياس.
- ٧ - مقالة في سبيل السعادة.

وبعد :

فهذه صفحات مشرقة من واقع حياة الطبيب ابن رضوان، هذا العالم المكافح المجاهد في سبيل العلم، فعلى الرغم من الظروف المعيشية الصعبة التي عانى منها،

- الاعلام، م ٥، ص ٢٧٣
- ٨ - ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات
الاطباء ص ٥٦١
- ٩ - د. السامرائي. مختصر تاريخ الطب العربي
ج ٢ ص ٣٤
- ١٠ - انظر: التواني: من اعلام الطب العربي
ص ١٣٠
- ١١ - د. السامرائي: مختصر تاريخ الطب
العربي ج ٢ ص ٣٤ - ص ٣٥
- ١٢ - ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء ص ٥٦٣
- ١٣ - ابن ابي اصيبعة : المصدر نفسه ص ٥٦٥
- ١٤ - ابن ابي اصيبعة : المصدر السابق ص ٥٦٦
ص ٥٦٧
- ١٥ - ابن ابي اصيبعة : المصدر السابق
ص ٥٦٧
- المصادر والمراجع
- ١ - ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات
الاطباء تحقيق د. نزار رضا - مكتبة الحياة -
- بيروت سنة ١٩٦٥
- ٢ - جمال الدين القفطي : تاريخ الحكماء او
مختصر الروزني - مكتبة المثنى - بغداد او
مؤسسة الخافجي - مصر
- ٣ - شمس الدين الذهبي : سير اعلام النبلاء
ج ١٨ تحقيق شعيب الأرنؤوط - مؤسسة
الرسالة - بيروت ط ١ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م
- ٤ - ابو الفتوح التواني : من اعلام الطب
العربي - الدار القومية للطباعة - سنة النشر
ليست مذكورة
- ٥ - د. كمال السامرائي : مختصر تاريخ الطب
العربي ج ٢ العراق - وزارة الثقافة والاعلام
سلسلة، دراسات (٣٧٩)
- ٦ - خير الدين الزركلي : معجم الاعلام ط ٤ دار
العلم للملايين بيروت ١٩٧٩ م
- ٧ - فردنيان توتل : المنجد في الاعلام - دار
المشرق، بيروت ط ١٠ ١٩٨٠ م